

الحفظ أهميته . عجائبه . طريقته . أسبابه

عبد القيوم السديباني

مصدر هذه المادة:

الكتبات الإسلامية
www.ktibat.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على أفضل الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن منزلة العلم لا تخفى، فهو من الشرف في المحل الأسمى، وله من الفضل الحظ الأوفى، والقدح المعلى.

والأدلة على فضله كثيرة، آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وآثار موقوفة، وأقوال منقولة... لكن العلم لا يحصل إلا بالحفظ، فمن حفظ المتون حاز الفنون، ومن لم يحفظ الأصول حُرم الوصول. فمنزلة الحفظ من العلم أرفع منزلة.

بل الحفظ شرط للعلم، والشرط ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم.

ولما كان للحفظ هذه المكانة، وتلك الأهمية، كتبت هذه الوريقات حثاً لنفسي وإخواني طلاب العلم على حفظ العلم، فأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وقد جعلت هذا البحث في فصول تحتها مباحث، وإليك التفصيل:

الفصل الأول: أهمية الحفظ.

الفصل الثاني: عجائب الحفظ.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ.

الفصل الثالث: طريقة الحفظ.

الفصل الرابع: أسباب الحفظ.

الأول: الدعاء.

الثاني: ترك المعاصي.

الثالث: الاهتمام.

الرابع: التعود.

الخامس: العمل به.

السادس: اختيار الوقت المناسب.

السابع: الحفظ في الصغر.

الثامن: المراجعة.

هذا ما تيسر ذكره، وأسأل الله جل جلاله أن يوفقنا لحسن العمل، والجد في الطلب واستغلال الوقت.

الفصل الأول

أهمية الحفظ

حفظ العلم في الصدر، من الأهمية بمكان، وبدونه لا يمكن لطالب العلم مواصلة الدرب، فقدر الطالب في العلم قدر حفظه من نصوص الكتاب والسنة والمتون العلمية واستحضار أقوال الأئمة فكلما زاد حفظه ارتفع قدره.

فقد قيل: من حفظ المتون حاز الفنون. وقيل: من حفظ الأصول ضمن الوصول.

والحفظ: أن يستظهر الكلام عن ظهر قلب، فيضبطه في صدره ويثبته، بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

يقال: حفظ القرآن، أي: وعاه عن ظهر قلب^(١).

قال عبد الرحمن بن مهدي: الحفظ الإتيان^(٢).

سأل مهنا أحمد: ما الحفظ؟ قال: الإتيان هو الحفظ^(٣).

ولأهمية الحفظ، وعلو شأنه، أوصى به العلماء طلابهم، وأرشدوهم إليه، مبينين لهم أنه أنفع من مجرد جمع العلم في الدفاتر.

قال الأعمش: احفظوا ما جمعتم، فإن الذي يجمع ولا يحفظ كالرجل كان جالساً على خوان يأخذ لقمة لقمة فينبذها وراء

(١) المصباح المنير ص ٥٥.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٣/٢).

(٣) الآداب الشرعية (١١٩/٢).

ظهره فمتى تراه يشبع؟!^(١).

قال القاسم بن خلاد: قيل: الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفاترك^(٢).

قال العسكري: إذا كان ما جمعته من العلم قليلاً وكان حفظاً كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيراً غير محفوظ قلت منفعته^(٣).

بل لأهمية الحفظ، وكبير قدره، عده بعض العلماء العلم، دون سواه مما حوته بطون الكتب.

قال عبد الرزاق بن همام: كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علماً^(٤)، وأنشد:

وليس بعلم ما حوى القمطر

ما العلم إلا ما حواه الصدر^(٥)

والبيت للخليل^(٦)

قال هشام بن بشير: من لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحاب الحديث، يجيء أحدهم بكتاب يحمله كأنه سجل مكاتب^(٧).

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٤٨).

(٢) الجامع للخطيب (٢/٢٦٦).

(٣) الحث على طلب العلم ص ٧٤.

(٤) الجامع للخطيب (٢/٢٥٠).

(٥) الحث على حفظ العلم لابن الجوزي ص ٢٥-٢٦.

(٦) انظر: جامع بيان العلم ص ١١٥.

(٧) الكامل لابن عدي (١/٩٥).

قال محمد بن يسير الأزدي:

إذا لم تكن واعياً حافظاً

فجمعك للكتب لا ينفع

أشاهد بالعي في مجلس

وعلمي في البيت مستودع^(١)

قال بعضهم:

استودع العلم قرطاساً فضيعه

بئس مستودع العلم القراطيس^(٢)

قال ابن عبد البر: ومما ينسب إلى منصور الفقيه من قوله:

علمي معي حيث ما يمت أحمله

بطني وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

أو كنت في السوق كان العلم في السوق^(٣)

فائدة: هذان البيتان ذكرهما الخطيب ونسبهما لبشار^(٤).

قال صديق بن حسن القنوجي: وينبغي أن يحفظ ما كتبه من

العلم، إذ العلم ما ثبت في الخواطر لا ما أودع في الدفاتر^(٥).

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥١-٥٢٥).

(٢) جامع بيان العلم ص ١١٦.

(٣) جامع بيان العلم ص ١١٦.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥٠).

(٥) أبجد العلوم لصديق حسن (١/٢٤٤).

ومما يبرز أهمية الحفظ، ويظهر كبير شأنه، ما قد يحصل للكتب من أمور تتلفها، فيفقد ما فيها من العلم، إذا لم يكن محفوظاً في الصدر.

قال بعضهم^(١):

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب
فإن للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها، والنار تحرقها
والفأر يخرقها، واللص يسرقها
وقد حدث هذا لبعض أهل العلم، تلفت كتبهم لسبب ما، أو
ابتعدوا عنها، فرجعوا إلى المحفوظ في الصدر، ومن هؤلاء:

١- أبو عمرو بن العلا (ت ١٥٤) كانت كتبه ملء بيت
فاحترق، فكان جميع ما يؤخذ منه إلى آخر عمره من حفظه^(٢).

٢- ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧) قيل: ذهبت كتبه بالبصرة، في
فتنة الزنج، فأعاد من حفظه خمسين ألف حديث^(٣).

٣- أبو بكر محمد بن عمر الجعابي (ت ٣٥٥) يقول: دخلت
الرقعة وكان لي ثمة قمطران، فأنفذت غلامي إلى ذلك الرجل الذي
كانت عنده الكتب، فرجع الغلام مغموماً، فقال: ضاعت الكتب.
فقلت: لا تغتم فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل علي منها

(١) تحصين القبيح وتقييح الحسن للنعالي ص ٨٤.

(٢) الحث على طلب العلم ص ٧٤.

(٣) تذكرة الحفاظ (٢/٦٤١).

حديث لا إسنادًا ولا متناً^(١).

٤- أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد الختلي (ت ٣٣٥) دخل البصرة، وليس معه شيء من كتبه، فحدث شهوياً إلى أن لحقته كتبه فكان يقول: حدثت بخمسين ألف حديث من حفظي إلى أن لحقتني كتي^(٢).

٥- أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري (ت ٢٠٢) يقول: لا أبالي أن يسرق مني كتاب سفيان أبي أحفظه كله^(٣).

الفصل الثاني

عجائب الحفظ

عجائب الحفظ كثيرة ومتنوعة، بعضها أعجب من بعض، لا تكاد ترى عجيبة من عجائبه إلا وتسمع بأعجب منها، والعجائب في الحفظ متنوعة، فمنها:

عجائب في سرعة الحفظ، وعجائب في قوته، وعجائب في كثرة المحفوظ.

(١) الحدائق لابن الجوزي (٢٧/١)، والحث على حفظ العلم ص ٦١، والسير (٨٩/١٦).

(٢) الحث على حفظ العلم ص ٤٥. وانظر: السير (٤٣٦/١٥).

(٣) تذكرة الحفاظ (٣٥٧/١).

ولقد ظهرت في الأمة الإسلامية نماذج كثيرة في كل نوع من هذه الأنواع، لذا أفردت مبحثاً لكل نوع، أذكر فيها ما وقفت عليه من ذلك.

وليس المقصود حصر كل ما ورد في ذلك، لعدم إمكانه، وقلة فائدته، بل المقصود ذكر أمثلة، وهذا كاف لشحذ الهمم، وإيقاظ العزائم، لسلوك الطريق، والتحلي بالصبر، والاتصاف بالحد، واستغلال الوقت.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ.

المبحث الأول: عجائب في سرعة الحفظ.

لقد سجل التاريخ الإسلامي أمثلة عجيبة لأعلام الأمة الإسلامية في سرعة الحفظ، وقد تنوعت مواهبهم في ذلك، فمنهم من يحفظ من أول مرة، فليس بحاجة إلى إعادة وتكرار، ومن أمثلة هؤلاء:

١- عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٤):

قال الشعبي:

ما وضعت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني أحد بحديث فاحتجت إلي أن يعيده علي^(١).

(١) الحث على طلب العلم ص ٧١، ٧٢. والحث على حفظ العلم ص ٤٩.

٢- قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨):

قال قتادة: ما قلت لمحدث - قط - : اعد علي، وما سمعت أذناي - قط - شيئاً إلا وعاه قلبي^(١).

وقال: لزممت سعيد بن المسيب أربعة أيام يحدثني. فقال يوماً: ليس تكتب! فهل يصير في يدك شيء مما أحدثك به؟ قلت له: إن شئت حدثتك بما حدثني به. قال: فأعدتها عليه. قال: فبقي ينظر إلي ويقول: أنت أهل أن تحدث فسل، فأقبلت أسأله^(٢).

قال أحمد بن حنبل: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئاً إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها^(٣).

٣- محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٥):

قال الزهري: ما استودعت قلبي شيئاً - قط - فنسيته^(٤).

وقال: ما استعدت حديثاً قط، ولا شككت في حديث قط، إلا حديثاً واحداً، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت^(٥).

٤- سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١):

قال سفيان الثوري: ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني^(٦).

(١) تذكرة الحفاظ (١/١٢٣)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٦). والحث على حفظ العلم ص ٥٤.

(٢) حلية الأولياء (٢/٣٣٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٦).

(٤) حلية الأولياء (٢/٣٦٤)، الجامع للخطيب (٢/٢٦٤) ..

(٥) حلية الأولياء (٢/٣٦٣)، الجامع للخطيب (٢/٢٥٣). الحث على حفظ العلم ص ٥٥.

(٦) المحروحين لابن حبان (١/٥٠) والسير (٧/٢٣٦).

وقال: ما استودعت أذني شيئاً قط إلا حفظته، حتى أمر بكذاب كلمة قالها ^(١) فأسد أذني مخافة أن أحفظها ^(٢).

٥- يزيد بن هارون (ت: ٢٠٦):

قال يزيد بن هارون: سمعت حديث الفتون ^(٣) مرة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفاً فمن شاء فليدخل فيها حرفاً. قال الذهبي: حديث الفتون سبع ورقات سمعناه ^(٤).

٦- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت: ٢١٦):

حكى أبو الحسن بن عمر بن بكير عن أبيه قال: كنا يوماً عند الحسن بن سهل، وبحضرته جماعة من أهل العلم منهم الأصمعي وأبو عبيدة والهيثم بن عدي وخلق كثير من الناس. وصاحب الحسن يعرض عليه الرقاع إلى أن وقع في خمسين رقعة، فلما فرغ من ذلك أقبل علينا، فقال: تذاكروا العلم. فتكلم أبو عبيدة والأصمعي والهيثم وجرير بن حازم، فالتجّ المجلس بالذاكرة إلى أن بلغوا إلى ذكر الحفاظ من أصحاب الحديث، فأخذوا في الزهري والشعبي وقتادة وشعبة.

فقال أبو عبيدة: وما الحاجة إلى هؤلاء، وما ندري أصدق الخبر

(١) كذا في المطبوع! ولعل فيه تصحيف، صوابه: بكلمة قالها كذاب. أو نحوه، وعلى كل فالعنى ظاهر، والحمد لله.

(٢) الحث على حفظ العلم ص ٣٩.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ح ١١٣٢٦، (٦/٣٩٦).

(٤) تاريخ بغداد (١٤/٣٤٠)، تذكرة الحفاظ (١/٣٢٠). وانظر: السير (٩/٣٦٣)

وفيه: حديث الصور. وانظر تعليق المحقق.

عنهم أم كذب، وبالحضرة رجل يزعم أنه ما أنسي شيئاً قط، وأنه ما يحتاج أن يعيد نظره في دفتري، إنما هي نظرة واحدة ثم قد حفظ ما فيه. يعرض بالأصمعي.

فقال الحسن: نعم والله يا أبا عبيدة إنك لتجيء من هذا بما ينكر جداً.

فقال الأصمعي: نعم ما أحتاج أن أعيد النظر في دفتري، وما أنسيت شيئاً قط.

فقال الحسن: فنحن نجرب هذا القول، يا غلام: الدفتر الفلاني، فإنه جامع لكثير مما أسدناه وحدثناه. فمضى الغلام ليحضر الدفتر.

فقال الأصمعي: فأنا أريك أعجب من هذا، أنا أعيد القصص التي مرت بأسماء أصحابه وتوقعاتك فيها كلها، وأمتحن ذلك بالنظر إليها. وقد كان عارض بتلك التوقعات في وقت ذلك من حضر واستنصحوها. فاستدعى الحسن القصص.

فقال الأصمعي: القصة الأولى لفلان، قصة كذا وكذا، وقعت كذا وكذا. حتى أتى على سبع وأربعين قصة.

فقال الحسن: حسبك، الساعة والله تقتلك الجماعة بأعينها، يا غلام خمسين ألف درهم. ثم قال: يا غلام أن احمّلوها معه. فقال: تنعم بالحامل كما أنعمت بالمحمول.

فقال: هم لك ولست تنتفع بهم، قد اشتريتهم منك بعشرة آلاف درهم. فحملت معه الدراهم، وانصرف الباكون بالحياة^(١).

(١) الحث على حفظ العلم ص ٤٧، ٤٨.

٧- عبد الله بن هارون المأمون (ت ٢١٨):

ركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فأسمعهما مائة حديث، فقال المأمون: يا عم، إن أذنت لي أعدتها من حفظي. فأذن له، فأعادها من حفظه كما سمعها، فتعجب لحفظه ابن إدريس^(١).

٨- محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦):

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع؟

فقال لنا يوما - بعد ستة عشر يوما - إنكما قد أكثرتما علي وألحمتما، فاعرضا علي ما كتبتما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ثم قال: أترون أني أختلف هذرا وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد^(٢).

٩- أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤):

قال أبو زرعة: ما سمعت أذني شيئا من العلم إلا وعاه قلبي، وإني كنت أمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات

(١) تذكرة الحفاظ (٢٨١/١)، البداية والنهاية (١٤/١٤).

(٢) الحث على حفظ العلم ص ٥٥، ٥٦. والسير (١٢/٤٠٨).

فأضع أصبعي في أذني مخاف أن يعيه قلبه ^(١).

١٠- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩):

قال أبو عيسى الترمذي: كنت في طريق مكة فكتبت جزئين من حديث شيخ، فوجدته فسألته وأنا أظن الجزئين معي، فأجابني فإذا معي جزءا بياض، فبقي يقرأ علي من لفظه، فنظر فرأى في يدي ورقا بياضا، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمرى، وقلت: أحفظه كله. قال: اقرأ. فقرأته عليه، فلم يصدقني، وقال: استظهرت قبل أن تنجيء.

فقلت: حدثني بغيره، فحدثني بأربعين حديثاً، وقال: هات، فأعدتها عليه ما أخطأت في حرف ^(٢).

١١- أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤):

قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي: حدثني كتيبي كان يجلس إليه المتنبي قال: ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان - يعني المتنبي - كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي - نحو ثلاثين ورقة - ليبيعه، فأخذ ينظر فيه طويلاً. فقال له الرجل: يا هذا أريد أن أبيعك، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون بعد شهر.

فقال ابن عبدان: فإن كنت قد حفظته فما لي عليك؟ قال أهبه

(١) تاريخ بغداد (١٠/٣٣٣).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/٦٣٥).

لك.

قال: فأخذت الدفتر من يده، فأقبل يقرأ علي إلى آخره، ثم استلبه فجعله في كفه، وقام، فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن، فمنعناه منه، وقلنا: أنت شرطت على نفسك^(١).

١٢- علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥):

قال الأزهري: بلغني أن الدارقطني حضر في حديثه مجلس إسماعيل الصفار، فجعل ينسخ جزءاً كان معه، وإسماعيل يملئ، فقال الرجل: لا يصح سماعك وأنت تنسخ.

قال الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف فهمك، كم تحفظ أملئ الشيخ؟ فقال: لا أحفظ!

قال الدارقطني: أملئ ثمانية عشر حديثاً، الأول عن فلان عن فلان ومنتنه كذا وكذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ومنتنه كذا وكذا. ومكر في ذلك حتى أتى على الأحاديث، فتعجب الناس منه أو كما قال^(٢).

١٣- أبو العباس ابن تيمية (ت ٧٢٨):

قال جمال الدين السرمدي: من عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية كان يمر بالكتاب مرة مطالعة فينقش في ذهنه^(٣).

(١) تاريخ بغداد (٤/١٠٣)، تاريخ الإسلام (٢٦/١٠٢).

(٢) السير (١٦/٤٥٣).

(٣) البدر الطالع (١/٧٠).

١٤- أبو المعالي محمد بن علي بن أبي العشائر الحلبي
(ت ٧٨٩):

قيل: إنه حفظ سورة الأنعام - وهو شاب - من مرة واحدة^(١).

ومنهم من يحفظ قدرًا كثيرًا في وقت قليل، كمن حفظ القرآن الكريم في وقت قصير، فمن هؤلاء:

١- أبو وائل شقيق بن سلمة (ت ٨٢) تعلم القرآن في شهرين^(٢).

٢- محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٥) حفظ القرآن في ثمانين ليلة^(٣).

٣- قال هاشم الكلبي: حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام. ونظرت يوماً في المرأة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة^(٤).

٤- طالب تركي يدرس في الجامعة استطاع أن يحفظ القرآن الكريم في سبعة أيام فقط^(٥).

(١) الدرر الكامنة (٤/٨٦).

(٢) السير (٤/١٦٣).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/١١٠).

(٤) الحث على حفظ العلم ص ٦٥.

(٥) حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٨.

٥- قال الدويش: حدثني أحد المشايخ الحفاظ الذين يعتنون بحفظ القرآن الكريم وتعليمه أن رجلا حفظ القرآن في ثلاثة أشهر، كان يحفظ وهو يسقي أو يسني - كما يعرف ذلك كبار السن - فكان معه مصحفه وهو على دابته ذهابا وإيابا يحفظ حتى استطاع أن يحفظ القرآن في ثلاثة أشهر^(١).

٦- يذكر أحد المقرئين أن هناك من الشباب من حفظ القرآن في الإجازة الصيفية وحدها^(٢).

ومنهم من حفظ متونا كثيرة من السنة في وقت قصير، أو حفظ نصوصا أدبية، فمن هؤلاء:

١- قال قطب الدين بن اليونيني: عن أبيه - حفظ الجمع بين الصحيحين، وحفظ صحيح مسلم في أربعة أشهر، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد، وحفظ ثلاث مقامات من الحرية في بعض يوم^(٣).

٢- محمد بن عمر صدر الدين ابن الوكيل (ت: ٧١٦) حفظ المقامات في خمسين يوما، وديوان أبي الطيب في جمعة^(٤).

٣- قال أبو القاسم التنوخي: سمعت أبي - ولي إذ ذاك خمس عشرة سنة - ينشد بعض قصيدة دجيل الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم - وهي نحو ستمائة بيت - فاشتبهت حفظها

(١) حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٩.

(٢) انظر: حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٩.

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١٤٤٠).

(٤) الدرر الكامنة (٤/١١٩).

لما فيها من تفاخر اليمن أهلي. فقلت: يا سيدي ادفعها إلي حتى أحفظها، فدافعني فألححت عليه. فقال: كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت وترمي بالكتاب. فقلت: ادفعها إلي، فأخرجها وسلمها إلي، فدخلت حجرة كانت برسمي من داره وخلوت فيها، ولم أتشغل بيومي وليلتي بشيء عن حفظها، فلما كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوة على رسمي، فجلست بين يديه، فقال لي: كم حفظت من قصيدة دعبيل؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها. فغضب، وقد راماني قد كذبت، فقال: بها، فأخرجت الدفتر من كمي ففتحته ونظر فيه وأنا أنشد إلي أن مضيت في أكثر من مائة بيت، فصفح منها عدة أوراق وقال: أنشد من ها هنا فأنشدته إلى آخرها، فلما رأى من حسن حفظي ضمني إليه وقبل رأسي وعيني، وقال: بالله يا بني لا تخبر بهذا أحداً، فإن أخاف عليك العين^(١).

ومنهم من يحفظ القدر الكثير في المجلس الواحد، فمن هؤلاء:

١- قيل لهشيم بن بشير: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في المجلس مائة حديث، ولو سئلت عنها بعد شهر لأجبت!^(٢).

٢- قال وكيع: ما كان أحد من أصحابنا أحفظ للحديث منه — يعني يحيى بن يمان — كان يحفظ في المجلس خمس مائة حديث^(٣).

(١) الحث على حفظ العلم ص ٥١.

(٢) الكامل لابن عدي (٩٥/١)، والحث على حفظ العلم ص ٦٥.

(٣) تهذيب الكمال (٥٨/٣٢)، الكاشف (٢٧٣/٣).

٣- أبو عبد الله اليونيني كان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد على سبعين حديثاً^(١).

المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ:

إن في الأمة الإسلامية رجالاً ضربوا أمثلة عجيبة في قوة الحفظ، تجد في هذه العجالة نبأ بعضهم:

١- قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨):

عن معمر قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر خذ المصحف فامسك علي، فقرأ عليه سورة البقرة، فما أسقط منها واوًا ولا ألفًا ولا حرفًا. فقال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم. قال: لأننا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة^(٢).

٢- أبو نعيم الفضل بن دكين (ت ١١٨):

قال أحمد بن منصور: خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين إلى عبد الرزاق خادما لهما، فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى: أريد أن أختبر أبا نعيم. فقال أحمد: لا ترد، فالرجل ثقة. قال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه، ثم جاءوا إلى أبي نعيم، فخرج وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل

(١) تذكرة الحفاظ (٤/١٤٤٠).

(٢) الحلية (٢/٣٣٤)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٢).

الدكان.

ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي اضرب عليه.

ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال: ليس من حديثي فاضرب عليه.

ثم قرأ العشر الثالث وأبو نعيم ساكت، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، وأقبل على يحيى فقال: أما هذا وذراع أحمد بيده — فأورع من أن يعمل هذا، وأما هذا — يريدني — فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل.

ثم أخرج رجله فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره.

فقال أحمد: ألم أمنعك وأقل لك إنه ثبت.

قال يحيى: والله لرفسته لي أحب إلي من سفرتي ^(١).

٣- عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٨):

قال عاصم بن أبي النجود: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفاً ^(٢).

٤- طلحة بن عمرو (ت ١٢٥٢):

(١) السير (١٠/١٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٨).

قال معمر: اجتمعت أنا وشعبة والثوري فقدم علينا شيخ فأملى علينا أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب فما أخطأ إلا في موضعين لم يكن الخطأ منا ولا منه إنما الخطأ من فوق. فكان الرجل: طلحة بن عمرو^(١).

٥- وكيع بن الجراح (ت ١٩٦):

قال وكيع بن الجراح: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة إلا في صحيفة يوما، فنظرت في طرف منه، ثم أعدته مكانه^(٢).

قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أحفظ من وطيه، ما رأيت وكيعاً شك في حديث إلا يوماً واحداً، ولا رأيت مع وكيع كتاباً ولا رقعت قط^(٣).

قال ابن عمار: قلت لو كيع: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها؟

قال: حدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمس مائة حديث، وأربعة أحاديث ليس بكثير في ألف وخمس مائة حديث^(٤).

٦- علي بن المديني (ت ٢٣٤):

قال جعفر بن درستويه: أقعد علي بن المديني بسامرا على منبر فقال: يقبح بمن جلس هذا المجلس أن يحدث من كتاب، فأول

(١) كتاب الحقائق لابن الجوزي (٢٤/١) ز

(٢) تهذيب الكمال (٤٧٧/٣٠).

(٣) تهذيب الكمال (٤٧١/٣٠).

(٤) تهذيب الكمال (٤٧٧/٣٠).

حديث حدث من حفظه غلط فيه، ثم حدث سبع سنين من حفظه لم يخطئ في حديث واحد^(١).

٧- إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨):

قال أبو داود الخفاف: أملئ علينا إسحاق بن راهويه أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً^(٢).

قال إسحاق: كنت لا أكتب شيئاً إلا حفظته، وإني الآن لكأني أنظر إلى أكثر من سبعين ألف حديث في كتابي^(٣).

وقال إسحاق بن إبراهيم: أعرف مكان مائة ألف حديث، كأني أنظر إليها، وأحفظ منها سبعين ألف حديث من ظهر قلبي صحيحة، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة.

ف قيل: ما معنى حفظ المزورة؟ قال: إذا مر بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فلياً^(٤).

قال علي بن سلمة اللبقي: كان إسحاق - يعني ابن راهويه - عند الأمير عبد الله بن طاهر وعنده إبراهيم بن أبي صالح، فسأل الأمير إسحاق عن مسألة؟

فقال إسحاق: السنة فيها كذا وكذا، وكذلك يقول من سلط

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١٣/٢).

(٢) الحقائق لابن الجوزي (٢٥/١).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (٢٥٣/٢).

(٤) الجامع للخطيب (٢٥٤/٢).

طريق أهل السنة، وأما أبو حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا: بخلاف هذا. فقال إبراهيم: لم يقل أبو حنيفة بخلاف هذا. فقال إسحاق: حفظته من كتاب جده، وأنا وهو في كتاب واحد.

فقال إبراهيم: أصلحك الله كذب إسحاق على جدي. فقال إسحاق: لبيعت الأمير إلي جزء كذا وكذا من جامعه. فأتي بالكتاب، فجعل الأمير يقلب الكتاب، فقال إسحاق: عد من الكتاب إحدى عشرة ورقة، ثم عد تسعة أسطر، ففعل، فإذا المسألة على ما قال إسحاق.

فقال الأمير عبد الله بن طاهر: قد تحفظ المسائل، ولكني أعجب لحفظك هذه المشاهدة! فقال إسحاق: ليوم مثل هذا ^(١).

قال أحمد بن كامل: قال عبد الله بن طاهر: لإسحاق بن راهويه: قيل لي إنك تحفظ مائة ألف حديث؟ قال: (مائة ألف حديث) ما أدري ما هو؟ ولكني ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت - قط - شيئاً فنسيته ^(٢).

٨- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١):

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام

(١) تاريخ بغداد (٦/٣٥٣).

(٢) تاريخ بغداد (٦/٣٥٤).

حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام^(١).

٩- أبو زُرعة الرازي (ت ٢٦٤):

قال أبو زرعة: إن في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة ولم أطالعه منذ كتبته، وإني أعلم في أي كتاب هو، في أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو^(٢).

وقال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث!^(٣).

١٠- ابن أبي داود (ت ٣١٦):

قال ابن أبي داود: حدثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثين ألفاً، ألزموني الوهم فيها في سبعة أحاديث، فلما انصرفت، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به^(٤).

١١- أبو عمرو الزاهد المعروف بـ: غلام ثعلب (ت ٣٤٥):

حكى أبو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي فأملى يوماً على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في اللغة، وذكر غريبها، وختمها ببيتين من الشعر.

(١) السير (١١/ ١٨٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٣٢).

(٣) الحقائق لابن الجوزي (١/ ٢٦).

(٤) السير (١٣/ ٢٢٤) وانظر: الحث على حفظ العلم ص ٤٤.

وحضر أبو بكر بن دريد، وابن الأنباري، وابن مقسم عند القاضي، فعرض عليهم تلك المسائل، فما عرفوا منها شيئاً، وأنكروا الشعر، فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟

فقال له ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن، ولست أقول شيئاً، وقال ابن مقسم مثل ذلك لاشتغاله بالقراءات، وقال ابن دريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر، ولا أصل لها ولا لشيء منها في اللغة، وانصرفوا.

فبلغ أبا عمر ذلك، فاجتمع مع القاضي، وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم له، ففتح القاضي خزانته، وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة، ويخرج لها شاهداً من بعض تلك الدواوين، ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها، ثم قال: وهذان البيتان أنشدتهما ثعلب بحضرة القاضي، وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني، فأحضر القاضي الكتاب، فوجد البيتين على ظهره بخطه، كما ذكر أبو عمر. وانتهت القصة إلى ابن دريد، فلم يذكر أبا عمر بلفظة حتى مات^(١).

١٢- أبو أحمد العسال (ت ٣٤٩):

قيل: إن أبا أحمد العسال أملى أربعين ألف حديث بأردستان، فلما رجع إلى بلده قابل ذلك فإذا به كما أملى^(٢).

(١) تاريخ بغداد (٢/٣٥٨)، والحث على حفظ العالم ص ٦٠. والسير (١٥/٥١٢).

(٢) تذكر الحفاظ (٣/٨٨٧).

١٣- ابن العميد محمد بن الحسين (ت ٣٦٠):

قال بعض الكتاب: كنا إذا دخلنا على أبي الفضيل بن العميد، رأينا إلى جانبه في مجلس العمل زهاء مائة مجلدة، فننكر ذلك، ففطن يوماً لإنكارنا فقال: إني أحفظ جميع ما في هذه الكتب، فإذا اشتغلت بالعمل عن درسها، أحضرتها عندي فكلما نظرت إليها، ذكرت محفوظي منها، فقام ذلك لي مقام الدرس. ثم قال لرجل منا: خذ أيها شئت. فأخذ الرجل منها كتاباً، وقال: هو الثاني من كتاب كذا. فابتدأ أبو الفضل فقرأ من أوله صدرًا، ثم وسطه، ثم من آخره. فتحقق عندنا أنه صدق ما قال، وعجبنا من حفظه وعنايته وحرصه^(١).

١٤- الحسين بن أحمد بن بكير (ت ٣٨٨):

قال الأزهري: كنت أحضر عند أبي عبد الله بن بكير، وبين يديه أجزاء كبار فأنظر بعضها، فيقول لي: أيما أحب إليك تذكر لي متن ما تريد من هذه الأحاديث حتى أخبرك بإسناده، أو تذكر لي إسناده حتى أخبرك بمتنه. فكنت أذكر له المتن فيخبرني بالأسانيد من حفظه، وفعلت هذا مرارًا كثيرة^(٢).

١٥- أبو إسماعيل الهروي (ت ٤٨١):

قال أبو إسماعيل الهروي: أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سردها. قال ابن طاهر: وما ذكر في مجلسه حديثاً إلا

(١) الحث على طلب العلم ص ٦٩.

(٢) الحق على حفظ العلم ص ٣٥.

بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه ^(١).

أمثلة من المعاصرين:

١- الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله طلب أن يحضر له كتاب الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب فأحضر فقال: افتح صفحة كذا — وحدد رقمها — ثم قال: اقرأ سطر ١٢، ثم قال: اقرأ الهامش. ثم قال الشيخ: كتاب الإيمان آخر مرة قرأته منذ (٤٠) عاماً، وحدد اسم القارئ ^(٢).

٢- حدثني إبراهيم بن ناصر السحيباني أنه قابل شاباً في الرياض عام ١٤١٤هـ تقريباً وكان هذا الشاب يدرس في معهد الرياض العلمي في السنة الثانية المتوسطة، وكان يحفظ القرآن مع أرقام الآيات، يقول إبراهيم: كنت أذكر له الآية فيذكر لي رقمها، وأذكر له الرقم فيقرأ الآية. وكنت أسأل عن السورة من آخرها فأقول: ما آخر آية في سورة كذا؟ فيذكر لي. فأقول: ما الآية التي قبلها؟ فيذكر. قال إبراهيم: أنا كنت أسأله بنفسه.

٣- قال محمد بن عبد الله الدرويش: كنت عضواً في لجنة لامتحان الحفاظ في الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وكان ضمن المتقدمين غلام لم يتجاوز العاشرة قد حفظ القرآن كاملاً، فسألته أن يقرأ من مواضع تصعب على الحافظ فلم يخطئ في حرف واحد، بل كان أحد المتقدمين عمره سبع سنوات قد حفظه كاملاً.

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٥٨).

(٢) انظر الإمام ابن باز دروس ومواقف وعبر للسدحان ص ٢٧-٢٨.

وشاب آخر عمره ١٢ عاماً يحفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً. فهو يحفظ الآية برقمها ^(١).

٤- حدثني أبو سليمان خالد بن عبد الله في عام ١٤٢٢هـ — قال: قرأ علي أحد مدرسي جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة النبوية من أول سورة البقرة إلى نهاية سورة الإسراء، حفظاً عن ظهر قلب، ومن دون سابق مراجعة، فلم يحصل منه خطأ ولا شك ولا تلثم. قال: وكان ذلك في عام ١٤١٥هـ تقريباً.

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ:

من العجائب في الحفظ كثرة المحفوظ، فمن الحفاظ من يحفظ قدراً كبيراً، ولهم طرائق متنوعة في بيان قدر المحفوظ، وإليكم نبذاً من خبرهم في ذلك:

منهم: من يقدر حفظه بالآلاف أو مئات الآلاف من الأحاديث النبوية، ومن هؤلاء:

١- عبدان (ت ١٣٦):

قال علي النيسابوري: فأما عبدان فكان يحفظ مائة ألف حديث ^(٢).

٢- إسماعيل بن عياش (ت ١٨٢):

قال داود بن عمرو الضبي: كان إسماعيل — يعني ابن عياش —

(١) حفظ القرآن الكريم للدويش ص ٤٤.

(٢) الحث على حفظ العلم ص ٤٣، تذكرة الحفاظ (٢/٦٨٩).

يحدثنا من حفظه، ما رأيت معه كتاباً قط. فقال له عبد الله بن أحمد: أكان يحفظ عشرة آلاف حديث؟ فقال: وعشرة آلاف وعشرة آلاف^(١).

٣- عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨):

قال عبيد الله بن عمر القواريري: أملئ علي عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً^(٢).

٤- أبو داود الطيالسي (ت ٢٠٤):

قال عمرو بن علي الفلاس: ما رأيت في المحدثين أحفظ من أبي داود الطيالسي! سمعته يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر، وفي صدري اثنا عشر ألف حديث لعثمان البزي ما سألتني عنها أحد من أهل البصرة فخرجت إلى أصبهان فبثتها فيهم^(٣).

قال عمر بن شبة: كتبوا عن أبي داود الطيالسي أربعين ألف حديث وليس معه كتاب^(٤).

٥- يزيد بن هارون (ت ٢٠٦):

قال يزيد بن هارون: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر، وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل

(١) تذكرة الحفاظ (١/٢٥٤).

(٢) كتاب الخدائق لابن الجوزي (١/٢٤)، تذكرة الحفاظ (١/٣٣٠).

(٣) كتاب الخدائق لابن الجوزي (١/٢٤).

(٤) كتاب الخدائق لابن الجوزي (١/٢٥)، والحث على حفظ العلم ص ٣٨.

عنها^(١).

٦- أبو حفص ابن الطباع (ت ٢٢٤):

قال أبو داود: كان يحفظ نحوًا من أربعين ألف حديث^(٢).

٧- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١):

قال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث. قيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب^(٣).

قال الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك. وإلا فالتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك^(٤).

٨- محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦):

قال محمد بن إسماعيل البخاري: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح^(٥).

٩- أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤):

قال أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى: رحلت إلى البصرة ألقى

(١) تاريخ بغداد (٣٣٩/١٤ - ٣٤٠)، تذكرة الحفاظ (٣١٨/١).

(٢) تهذيب الكمال (٢٦٣/٢٦)، تذكرة الحفاظ (٤١١/١).

(٣) تاريخ بغداد (٤١٩/٤ - ٤٢٠)، الخدائق لابن الجوزي (٢٥/١).

(٤) السير (١٨٧/١١).

(٥) السير (٤١٥/١٢).

المشايخ أبا الربيع الزهراني وهدبة بن خالد وسائر المشايخ، فبينما نحن قعود في السفينة إذا أنا برجل يسأل رجلاً فقال: ما تقول رحمك الله في رجل حلف بطلاق امرأته ثلاثاً أنك تحفظ مائة تالف حديث؟ فأطرق رأسه ملياً ثم رفع، فقال: اذهب يا هذا فإنك بار في يمينك، ولا تعد إلى مثل هذا!! فقلت: من الرجل؟ فقيل لي: أبو زرعة الرازي^(١).

قال أبو القبايني محمد بن جعفر بن حمكويه: سئل أبو زرعة الرازي: عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث؟ فقال: لا^(٢).

قال أحمد بن حنبل: ما جاوز الجسر أحفظ من أبي زرعة، قد حفظ ستمائة ألف حديث^(٣).

١٠ - ابن عقدة (ت ٣٣٢):

قال ابن عقدة: أحفظ من الحديث بالأسانيد والمتون خمسين ومائتي ألف حديث، وأذاكر بالأسانيد، وبعض المتون والمراسيل والمقاطيع ست مائة ألف حديث.

قال أبو بكر بن أبي دارم الحافظ: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن سعيد (المعروف بـ ابن عقدة) يقول: أحفظ لأهل البيت ثلاث مائة ألف حديث^(٤).

(١) الخدائق لابن الجوزي (٢٦/١).

(٢) الخدائق لابن الجوزي (٢٦/١).

(٣) الحث على حفظ العلم ص ٤٤.

(٤) تاريخ بغداد (١٦/٥ - ١٧)، والسير (٣٤٦/١٥ - ٣٤٧).

قال ابن عقدة: دخل البريجي الكوفة، فزعم أنه أحفظ مني، فقلت: لا تطول، نتقدم إلي دكان وراق ونزن بالقبان من الكتب ما شئت ثم تلقي علينا فنذكره! قال: فبقي^(١).

١١- أبو محمد العسال (ت ٣٤٩):

قال أبو أحمد العسال: أحفظ في القراءات خمسين ألف حديث، ويقال: إنه أملئ تفسيراً كبيراً من حفظه^(٢).

١٢- أبو بكر الجعابي (ت ٣٥٥):

قال أبو بكر الجعابي: أحفظ أربع مائة ألف حديث، وأذاكر بست مائة ألف حديث^(٣).

١٣- إسماعيل بن يوسف:

إسماعيل بن يوسف كان يحفظ أربعين ألف حديث، ويذاكر بسبعين ألف حديث^(٤).

ومنهم: من يقدر حفظه، بآلاف الآيات من الشواهد النحوية، أو القصائد الشعرية، ومن هؤلاء:

١- علي بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤):

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كان علي الأحمر يحفظ أربعين

(١) تذكرة الحفاظ (٣/٨٤٠)، والسير (١٥/٣٤٦-٣٤٧).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/٨٨٧).

(٣) الحث على حفظ العلم ص ٦٢، السير (١٦/٩٠).

(٤) الحث على حفظ العلم ص ٣١.

ألف بيت شاهدا في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب^(١).

٢- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦):

قال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ستين ألف أرجوزة^(٢). وفي رواية قال: ستة عشر ألف أرجوزة^(٣).

قال العسكري: كان الأصمعي يحفظ اثنتي عشرة ألف أرجوزة، فيها ما كان عدد أبياته المائة والمائتين^(٤).

٣- أبو تمام (ت ٢٣٢):

قل: كان أبو تمام يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب^(٥).

٤- أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨):

قال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل (٣٠٠٠٠٠) ثلاث مائة ألف بيت شاهداً في القرآن^(٦).

٥- أبو الفتح ابن العميد (ت ٣٦٦):

قال العسكري: كان يحفظ أكثر من مائتي ألف بيت^(٧).

(١) تاريخ بغداد (١٠٤/١٢).

(٢) الحث على حفظ العلم ص ٤٦.

(٣) تهذيب التهذيب (٦٢٢/٢).

(٤) الحث على حفظ العلم ص ٧٩.

(٥) السير (٦٨/١١).

(٦) الحث على حفظ العلم ص ٥٨، وتذكرة الحفاظ (٨٤٣-٨٤٢/٣).

(٧) الحث على حفظ العلم ص ٧٩.

٦- أبو الفرج الشنبوذي (ت ٣٨٧):

قال أبو الفرج الشنبوذي: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقراءات^(١).

ومنهم من يقدر حفظه بالكتب، ومن هؤلاء:

١- أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧):

قال سلمة: أملى الفراء كتبه كلها حفظاً^(٢).

٢- أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨):

ذكروا أنه يحفظ عشرين ومائة من تفاسير القرآن بأسانيدها^(٣).

مرض أبو بكر بن الأنباري في زمن أبيه فقلق أبوه، وقال: كيف لا أقلق على من يحفظ جميع ما في هذه الصناديق من الكتب.

أملى ابن الأنباري من حفظه غريب الحديث وهو خمس وأربعون ألف ورقة، وكتاب شرح الكافي وهو ألف ورقة، وكتاب الأضداد ألف ورقة، والجاهليات سبعمائة ورقة^(٤).

كان أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاثة عشر صندوقاً^(٥).

٣- أبو عمر المعروف بـ غلام ثعلب (ت ٣٤٥):

(١) تاريخ بغداد (١/٢٧٢).

(٢) السير (١٠/١٢٠).

(٣) الحث على حفظ العلم ص ٥٨، وتذكرة الحفاظ (٣/٨٤٢-٨٤٣).

(٤) الحث على حفظ العلم ص ٥٨-٥٩.

(٥) الحقائق لابن الجوزي (١/٢٧)، وتذكرة الحفاظ (٣/٨٤٣).

قال أبو علي: من الرواة الذين لم نر قط أحفظ منهم أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب أملئ من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، فيما بلغني، وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف^(١).

ومنهم: من يقدر حفظه بالزمن - الزمن الذي يقرأ فيه محفوظه - ومن هؤلاء:

١- الشعبي (ت ١٠٤):

قال الشعبي: ما سمعت منذ عشرين سنة من رجل يحدث بحديث إلا وأنا أعلم به منه^(٢).

قال الشعبي: ما أروي شيئاً أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيد^(٣).

٢- معمر بن راشد (ت ١٥٣):

قال يحيى بن معين: قال هشام بن يوسف: أقام معمر عندنا عشرين سنة ما رأينا له كتاب. يعني كان يحدثهم من حفظه^(٤).

٣- يونس بن حبيب النحوي (ت ١٨٢):

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: اختلفت إلى يونس أربعين سنة

(١) تاريخ بغداد (٣٥٧/٢)، والحدائق لابن الجوزي (٢٧/١).

(٢) تذكرة الحفاظ (٨٨/١).

(٣) تذكرة الحفاظ (٨٤/١).

(٤) السير (٨/٧).

كل يوم أملاً ألواحياً من حفظه وأنصرف^(١).

الفصل الثالث

طريقة الحفظ

أعلم - وفقني الله وإياك - أن من أراد أن يحفظ حفظاً متقناً يبقى معه دهرًا طويلاً، فإنه ينبغي له أن يسلك هذه الطريقة - ألاّ ذكرها - وليس هناك طريقة غيرها - فيما أعلم - لمن أراد الحفظ الجيد، أما من يحفظ حفظاً مؤقتاً لغرض ما، فليس هذا الحديث له.

ثم أعلم - رعاك الله - أن هذه الطريقة مستفادة من أقوال السلف وتطبيقاتهم، أولئك الأعلام الذين سبق ذكر طرف من عجائبهم في الحفظ قوة، وكثرة، لتعلم أن ذلك الحفظ القوي، من هذه الطريقة، فمن أراد درجتهم في قوة الضبط، فليسلك سبلهم في طريقة الحفظ.

وقبل ذكر هذه الطريقة ينبغي التنبيه إلى أن هذا الأمر يحتاج إلى صبر وجلد، وطول نفس، فلا يستعجل النتائج، ولا يمل لطول الوقت، بل يصبر ويعلم أنه على خير عظيم، لأن هذا الوقت الطويل الذي يقضيه في طلب العلم لا يذهب هدرًا بل يؤجر عليه إذا صلحت النية.

وبعد - أيها الموفق - فإنه لا بد في الحفظ من أمرين:

(١) كتاب الحث على طلب العلم للعسكري. ص ٧٠، وفيات الأعيان (٢٤٤/٧).

الأمر الأول: تقليل الكمية المراد حفظها.

الأمر الثاني: التكرار.

الأمر الأول: تقليل الكمية المراد حفظها:

ينبغي لمن أراد حفظ نص ما أن يقسم هذا النص على الأيام، بحيث يحفظ كل يوم جزءاً معيناً، ويكون هذا الجزء قليلاً، ولا يكثر على نفسه فتمل أو تكل، فقد قيل: من رام العلم جملة ذهب عنه جملة. وقيل ازدحام العلم مضلة الفهم.

وثبت في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل». متفق عليه ^(١).

قال الخطيب البغدادي: وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلاً قليلاً حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] ^(٢).

وقال: أعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتل أشياء، وتعجز عن أشياء، كالجسم الذي يحتل بعض الناس أن يحمل مائتي رطل، ومنه من يعجز عن عشرين رطلاً.

(١) صحيح البخاري ح ٥٨٦١، وصحيح مسلم ح ٧٨٢.

(٢) الفقيه والمتفقه (١٠١/٢).

وكذلك منهم من يمشي فراسخ في يوم ولا يعجزه، ومنهم من يمشي بعض ميل فيضرب ذلك به.

ومنهم من يأكل الطعام أرتالاً، ومنهم من يتخمه الرطل فما دونه.

فكذلك القلب: من الناس من يحفظ عشر ورقات في ساعة، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبها بغيره لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع.

فليقتصر كل امرئ من نفسه على مقدار ييقى فيه ما لا يستفرغ كل نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعليم من الذهن الجيد والمعلم الحاذق^(١). اهـ.

قال الزرنوجي: قال مشايخنا رحمهم الله: ينبغي أن يكون قدر السبق للمبتدئ قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق، فقد قيل السبق حرف، والتكرار ألف^(٢). اهـ.

قال يونس بن يزيد: قال لي ابن شهاب: يا يونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام

(١) الفقيه والمتفقه (١٠٧/٢).

(٢) تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٣٢-٣٣. ط. مكتبة القاهرة.

والليالي^(١).

وقال يونس: سمعت الزهري يقول: إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك، ولم تظفر منه بشيء، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به^(٢).

قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيهاً بما ليس عندك، وأكثر من العلم لتعلم، وأقلل منه لتحفظ^(٣).

قال ابن الصلاح: وليكن تحفظه للحديث على التدرج قليلاً قليلاً مع الأيام والليالي فذلك أحرى بأن يُمتنع بمحفوظه. وممن ورد ذلك عنه حفاظ الحديث المتقدمين: شعبة، وابن علية، ومعمّر^(٤).

أمثلة من تطبيقات أهل العلم لهذا الأمر:

هذه بعض الأمثلة من الحياة العلمية لسلف الأمة، تظهر لك كيف كانوا يحرصون على التزام هذا الأمر في أنفسهم ومع طلابهم، حرصاً على الإتقان.

١- عن ميمون أن ابن عمر رضي الله عنهما تعلم سورة البقرة في أربع سنين^(٥). وقيل: إنه مكث على سورة البقرة ثمان سنين

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ١٦٨.

(٢) حلية الأولياء (٤/٣٦٤).

(٣) جامع بيان العلم ص ٢٠٦.

(٤) علوم الحديث ص ٢٢٧.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/١٢٣).

يتعلمها^(١).

٢- قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرمها وأمرها ونهيها^(٢).

٣- قال أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات فإنه أحفظ لكم، فإن جبريل عليه السلام كان ينزل به خمس آيات خمس آيات^(٣).

٤- قال سفيان الثوري: كنت آتي الأعمش ومنصوراً فأسمع أربعة أحاديث أو خمسة، ثم أنصرف كراهية أن تكثر وتقلت^(٤).

٥- قال أبو بكر بن عياش: قرأت القرآن على عاصم بن أبي النجود فكان يأمرني أن أقرأ كل يوم آية لا أزيد عليها، ويقول: إن هذا أثبت لك. فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن أفرغ من القرآن فما زلت أطلب إليه حتى أذن لي في خمس آيات كل يوم^(٥).

فهذا عاصم يلزم أبا بكر بهذه الطريقة، ويأمره بتقليل القدر المحفوظ، ليصل إلى درجته في الإتقان، كما وصفه عاصم بقوله: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفاً^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١).

(٣) حلية الأولياء (٢١٩/٢).

(٤) فتح المغيث (٣١٦/٣).

(٥) طبقات الحنابلة (٤٢/١).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٥٨/٥).

انظر إلى هذا الضبط العجيب، بعد ستين لا يستذكر حفظ القرآن فيهما لمرضه، يقرأه فلا يخطئ في حرف.

ولقد أنتجت هذه الطريقة ثمارها، فها هو أبو بكر يقول: فلقد فارقت عاصمًا، وما أسقط من القرآن حرفًا^(١).

٦- جاء أبو حنيفة إلى حماد بن أبي سليمان فقال له: ما جاء بك؟ قال: أطلب الفقه. قال: تعلم كل يوم ثلاث مسائل، ولا تزيد عليها شيئًا، حتى يتفق كل شيء من العلم، فتعلم، ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع^(٢).

٧- قال شعبة: كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثني، ثم يقول: أزيدك؟ فأقول: لا حتى أحفظهما وأتقنهما^(٣).

نعم إنه يريد أن يصل إلى درجة قتادة في الإتقان، عن معمر قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر خذ المصحف فامسك علي، فقرأ عليه سورة البقرة، فما أسقط منها واوا ولا ألفًا ولا حرفًا. فقال: يا أبا النضر أحكمت؟ قال: نعم. قال: لأننا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة^(٤).

٧- ذكر بعض طلبة العلم عن أحدهم أنه كان يحفظ في كل يوم نصف بيت من الألفية فبقي في حفظ الألفية ثمان سنوات.

(١) سير أعلام النبلاء (٨/٥٠٣).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/١٠١).

(٣) السير (٧/٢٢٥-٢٢٦).

(٤) الحلية (٢/٣٣٤)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٢).

الأمر الثاني: التكرار:

إذا عمل مريد الحفظ بالأمر الأول وهو تقليل المادة المحفوظة يومياً، فينبغي له كذلك أن يكرر هذا النص مرات كثيرة جداً، فإن الحفظ لا يثبت إلا بالتكرار، فمن أراد أن يبقى حفظه مدة طويلة فليكثر من إعادته وتكراره.

قال ابن الجوزي: الطريق في إحكام المحفوظ كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون في ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ^(١).

وقال: قد كان خلق كثير من سلفنا يحفظون الكثير من الأمر، فألى الأمر إلى أقوام يفرون من الإعادة إلى الكسل، فإذا احتاج أحدهم إلى محفوظ لم يقدر عليه.

ولقد تأملت على المتفقهه أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثاً، فإذا مر على أحدهم يوماً نسي ذلك، وإذا افتقر إلى شيء من تلك المسألة في المناظرة لم يقدر على ذلك، فذهب زمان الأول ضائعاً، ويحتاج أن يتدبّر الحفظ لما تعب فيه أولاً، السبب أنه لم يحكمه^(٢). اهـ.

قال الزرنوجي: وينبغي لطالب العلم أن يعد ويقدر لنفسه تقديراً في التكرار فإنه لا يستقر في قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ. وينبغي

(١) الحث على حفظ العلم ص ٢١.

(٢) الحث على حفظ العلم ص ١٢.

لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاث مرات، والذي قبله اثنين، والذي قبله مرة واحدة. فهذا أدعى إلى الحفظ^(١). اهـ.

عقد الخطيب في كتابه (الجامع) فصلاً فقال: تكرير المحفوظ على القلب.

ثم ذكر فيه قول علقمة: أطيلوا كر الحديث لا يدرس.

وقول سفيان: اجعلوا الحديث حديث أنفسكم، وفكر قلوبكم، تحفظوه^(٢).

قال الحسن: بن أبي بكر النيسابوري: لا يحصل الحفظ حتى يعاد خمسين مرة^(٣).

وقال: إن فقيهاً أعاد الدرس في بيته مرارا كثيرة، فقالت: عجوز - في بيته - : قد والله حفظته أنا! فقال: أعيدته. فأعادته. فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس. فقالت: ما أحفظه. قال: أنا أكرر الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك^(٤).

قال ابن جبرين: الغالب أن من حفظ سريعاً بدون تكرار فإنه ينسى سريعاً، ولقد كان الكثير من الطلاب قديماً يكرسون جهودهم في الحفظ، حتى كان أحدهم يقرأ الحديث أو الباب مائة

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٤١. ط. مكتبة القاهرة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٢٦).

(٣) الحث على حفظ العلم ص ٢١.

(٤) الحق على حفظ العلم ص ٢١.

مرة، حتى يرسخ في ذاكرته، ثم بعد ذلك يكررون ما حفظوه^(١).

أمثلة تطبيق هذا الأمر عند أهل العلم:

١- قال ابن مفلح: روي عن الزهري أنه كان يرجع إلى منزله وقد سمع حديثاً كثيراً، فيعيده على جارية له من أوله إلى آخره كما سمعه، ويقول لها: إنما أردت حفظه. وكان غيره يعيده على صبيان المكتب ليحفظه^(٢).

٢- قال أبو الوليد: قال لي حماد بن زيد: إذا خالفني شعبة في حديث صرت إلى قوله. قلت: كيف يا أبا إسماعيل؟ قال: إن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة، وأنا أرضى أن أسمعه مرة^(٣).

٣- قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: لو لم نكتب الحديث خمسين مرة، ما عرفناه^(٤). وقال مجاهد بن موسى: كان يحيى بن معين يكتب الحديث نيفا وخمسين مرة^(٥).

٤- قال أبو إسحاق الشيرازي: كنت أعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياساً آخر، وهكذا. وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يستشهد به، حفظت

(١) كيف تطلب العلم؟ حوار مع فضيلة الشيخ العلامة د. عبد الله بن عبد الرحمن

الجبرين. إعداد: عيسى بن سعد آل عوشن. ص ٣١.

(٢) الآداب الشرعية (٢/١٢٠).

(٣) السير (٧/٢١٩).

(٤) السير (١١/٨٤).

(٥) السير (١١/٩٢).

القصيدة^(١).

وأثر هذا التكرار ثمرته فقد قيل: إن أبا إسحاق كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدكم الفاتحة^(٢).

٥- سئل بكر بن محمد البخاري عن مسألة، فقال: هذه المسألة أعدتها في برج من حصن بخارى أربع مائة مرة. وكان إذا طلب المتفقه منه الدرس ألقى عليه من أي موضع شاء من غير مطالعة كتاب^(٣).

٦- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل يقال أقرأ المقنع مائة مرة^(٤).
ومن أمثلة المعاصرين:

٧- سمعت الشيخ عبد الرحمن الفريان يقول: كنت أيام الطلب في الصغر أكرر الدرس من القرآن ثمانين مرة. فقال لي الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله: كرر مائة مرة فقلت: هذا كثير.

٨- حدثني بعض الشناقطة في المسجد النبوي: أنهم إذا أرادوا حفظ درس كرروه مائة مرة.

أيها الموفق: لقد كان أهل العلم يلزمون أنفسهم بالتكرار، ويحتالون عليها لإذهاب الملل عنها، ومن أمثلة ذلك:

(١) طبقات الشافعية (٢١٨/٤).

(٢) طبقات الشافعية (٢٢٢/٤).

(٣) الحث على حفظ العلم ص ٣٢، السير (٤١٦/١٩).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٤٠٩/٢).

قال الكيا الهراسي: كانت في مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول.

قال: وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته ^(١).

وفي بعض الكتب أنه - الكيا - كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درج المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات، وأن المراقى كانت سبعين مرقاة ^(٢). أي: يكرر الدرس (٤٩٠) مرة.

وحدثني علي بن عبد الرحمن السحبياني أنه قابل في (موريتانيا) بعض الشناقطة ممن حفظه متقن، فسأله عن طريقته في المراجعة فقال: أكرره على الجهات ثمانين مرة، يتجه نحو الشرق فيقرأ ثمانين مرة، ثم يتجه نحو الغرب فيقرأ ثمانين مرة، وكذا باقي الجهات.

فأنظر كيف يحتالون في إذهاب الملل عن النفس، وإلزامها بالعدد المطلوب تكراره، فهذا يقرأ الدرس على كل درجة، وذاك يكرره على كل جهة، من أجل إبعاد الملل والسآمة، لأنه لو جلس في بيته وأراد أن يكرر هذا العدد لمل وسأم، وربما لم يكمل كل هذا العدد.

تنبيهات:

أولاً: يجب على من أراد الحفظ أن يصحح ما يقرأه قبل حفظه

(١) طبقات الشافعية (٢٣٢/٧).

(٢) طبقات الشافعية (٢٣٢/٧).

تصحيحًا متقنًا، ولا يحفظ شيئًا قبل تصحيحه، لأنه يقع في التحريف والتصحيف^(١).

ثانيًا: ينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه حتى يسمع نفسه، فإن ما سمعته الأذن رسخ في القلب، ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه.

قال الزبير بن بكار: دخل علي أبي وأنا أروي في دفتر ولا أجهر، أروي فيما بيني وبين نفسي.

فقال لي: إنما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك، فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها، فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك، وما أدى سمعك إلى قلبك^(٢).

قال العسكري: حكى لي عن أبي حامد: أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستهم فارفعوا أصواتكم، فإنه أثبت للحفظ وأذهب للنوم. وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم^(٣).

قال الزرنوجي: وينبغي ألا يعتاد المخافتة في التكرار، لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط، ولا يجهر جهرا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار، فخير الأمور أوسطها^(٤). اهـ.

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم ص ١٢١-١٢٢.

(٢) الجامع للخطيب ٢/٢٦٦.

(٣) الحث على طلب العلم ص ٧٢.

(٤) تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٤١. ط. مكتبة القاهرة.

الفصل الرابع

أسباب الحفظ

هذه بعض الأسباب المعينة على الحفظ، وليس ذكرها هنا على سبيل الحصر، لكن لعل هذه هي أهم أسباب الحفظ.

وقد حرصت عند ذكر كل سبب على بيان إفادة أهل العلم منه، وما لم أذكره من أسباب فلعدم أهميته في نظري، أو يكون مما فات سهواً.

والله أسأل أن ينفعني به ومن بلغ.

الأول: الدعاء.

الثاني: ترك المعاصي.

الثالث: الاهتمام.

الرابع: التعود.

الخامس: العمل به.

السادس: اختيار الوقت المناسب.

السابع: الحفظ في الصغر.

الثامن: المراجعة.

الأول: الدعاء:

الدعاء سبب لكل خير، ومفتاح لكل باب، به تجلب المنافع،

وتدفع المكروهات، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فهذا وعد من الله بالإجابة ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فاحرص - يا طالب العلم - على دعاء الله جل جلاله فإنه دعائه خير محض، وغنم بللا غرم، وهو أيسر سبب، وأسرع سبيل، صاحبه رابح على كل حال.

قال ابن حجر: وأنا شربته مرة - يعني ماء زمزم - وسألت الله - وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة، فسألته أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك ^(١).

ومن هنا ينبه على ما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ماء زمزم لما شرب له» أخرجه ابن ماجه ^(٢).

وقد كان أهل العلم يحرصون على الشرب منه، وسؤال الله تعالى ما ينفعهم من خيري الدنيا والآخرة.

ومتى توجه العبد إلى ربه جل وعلا بإخلاص وصدق حاضر القلب أجيب دعائه، وكم داع أخلص لله مع ذل وخشوع وبكاء استجيب له.

(١) جزء في حديث «ماء زمزم لما شرب له» لابن حجر، ص ٣٧.

(٢) السنن ح ٣٠٦٢. وللحديث شواهد من حديث ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، ومعاوية، وقد تكلم ابن حجر على كل واحد من هذه الشواهد ثم قال: فمرتبة هذا الحديث عند الحفاظ باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به، على ما عرف من قواعد أئمة الحديث. ص ٣٢ المصدر السابق.

قال خلف بن محمد بن الفضل: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك - أو كثرة دعائك - فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره ^(١).

الثاني: ترك المعاصي:

من أهم الأسباب المعينة على حفظ العلم الشرعي اجتناب المعاصي، وقد كثر السلف في التنبيه على هذا الأمر، فمن ذلك:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه للخطيئة كان يعملها. أخرجه الدارمي ^(٢).

قال علي بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتابا قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ؟ فقال: إن علمتك الدواء استعملته؟ قلت: أي والله! قال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ ^(٣).

قال بعضهم:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي

فأومأ لي إلى ترك المعاصي

وقال بأن حفظ الشيء فضل

(١) كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي ص ٢٤٧.

(٢) سنن الدارمي ح ٣٧٦، (١١٧/١)، الجامع للخطيب ٢٥٨/٢ وانظر الفوائد ص ١٤٧.

(٣) الجامع للخطيب (٢٥٨/٢)، وهذا اللفظ في سير أعلام النبلاء (١٥١/٩)، تهذيب الكمال (٤٨٠/٣٠).

وفضل الله لا يدركه عاصي^(١)

قال بشر بن الحارث: إن أردت أن تلقن العلم فلا تعص^(٢).

قال يحيى بن يحيى: سألت رجل مالك بن أنس: يا أبا عبد الله هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي^(٣).

قال الضحاك بن مزاحم: ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب^(٤).

الثالث: الاهتمام:

إن الاهتمام للشيء، والحرص عليه، واشتغال الفكر به، ييسر حفظه، وهذا أمر ظاهر حتى في حاجات المرء الشخصية، فما كان منها محل اهتمامه، فإنه قل أن ينساه.

قال سفيان: اجعلوا الحديث: حديث أنفسكم، وفكر قلوبكم، تحفظوه^(٥).

قال البخاري: لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من همة الرجل،

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٥٨).

(٢) الجامع للخطيب (٢/٢٥٨).

(٣) الجامع للخطيب (٢/٢٥٨).

(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٣٨.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٦٦).

ومداومة النظر^(١).

النهمة: بلوغ الهمة في الشيء، ومنه (النهم من الجوع)، ومنه الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا»^(٢).

ثم قال البخاري: وذلك أني كنت بنيسابور مقيماً، فكان ترد إلي من بخارى كتب، وكن قرابات لي يقرئن سلامهن في الكتب، فكنت اكتب كتاباً إلى بخارى، وأردت أن أقرئن سلامي، فذهب علي أساميهن حين كتبت كتابي، ولم أقرئن سلامي، وما أقل ما يذهب عني من العلم^(٣).

قلت: تأمل هذه القصة التي ذكرها البخاري في نفسه، فإنه نسي أسامي قرابات له، وهو القائل: تذكرت يوماً أصحاب أنس فحضرني في ساعة ثلاثمائة نفس^(٤).

ولما قيل له: أنت الذي يقول: إني أحفظ سبعين ألف حديث! قال: نعم، وأكثر. ولا أحيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتكم مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم^(٥).

فمع سعة حفظه وقوته ينسى أسماء بعض قراباته من النساء، وهو القائل: ما أقل ما يذهب عني من العلم. ومرجع ذلك كله إلى

(١) السير (٤٠٦/١٢)، هدي الساري ص ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) النهاية (١٣٨/٥).

(٣) السير (٤٠٦/١٢).

(٤) هدي الساري ص ٤٨٨.

(٥) السير (٤١٧/١٢).

الاهتمام فلشدة اهتمامه للعلم قل ما يفوته منه، ولقلة اهتمامه لأسماء تلك النسوة ذهب عليه أسماؤهن، حتى لم يقدر على استذكار وقت حاجة إليهن.

قال العسكري: والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية، وكثرة الدرس، وطول المذاكرة ^(١).

الرابع: التعود:

قد يجد الإنسان صعوبة في الحفظ أول أمره، لكن مع تمرين النفس عليه يسهل، فكثرة التمرين على الحفظ، تزيد الحافظة قوة وسرعة.

قال الزهري: إن الرجل ليطلب وقلبه شعب من الشعاب، ثم لا يلبث أن يصير وادياً، لا يوضع فيه شيء إلا التهمة ^(٢).

قال العسكري: يريد أن أول الحفظ شديد، يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سهل. ومصدق ذلك ما أخبرنا به الشيخ أبو أحمد الصولي عن الحارث بن أسامة قال: كان العلماء يقولون: كل وعاء أفرغت فيه شيئاً فإنه يضيق، إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه اتسع.

قال العسكري: وكان الحفظ يتعذر علي حين ابتدأت ثم عودته نفسي إلي أن حفظت قصيدة قريباً من مائتي بيت في ليلة ^(٣).

(١) الحث على طلب العلم ص ٦٧.

(٢) الحث على طلب العلم ص ٧١.

(٣) كتابه: الحث على طلب العلم ص ٧١.

الخامس: العمل به:

مما يثبت العلم العمل به، فإذا عمل بما علمه ازداد ذلك العلم رسوخاً، وإلى هذا نبه أهل العلم، فمن ذلك:

قال الشعبي: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به ^(١).
ومثله عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ^(٢).

قال سفيان الثوري: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ^(٣).

قال وكيع بن الجراح: إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به ^(٤).

قال ابن عثيمين: ومن الطرق التي تعين على حفظ العلم وضبطه: أن يهتدي الإنسان بعلمه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظاً وفهماً لعموم قوله ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾. اهـ ^(٥).

السادس: اختيار الوقت المناسب:

من الأسباب المعينة على الحفظ، أن يختار وقتاً مناسباً للحفظ،

(١) جامع بيان العلم ص ٢٩١.

(٢) الجامع للخطيب (٢/٢٥٩).

(٣) جامع بيان العلم ص ٢٩٠.

(٤) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٢٣.

(٥) ص ٦٣ كتاب العلم لابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان.

وقد ذكر العلماء أي الساعات أفضل، فمما قالوه في ذلك:

قال الخطيب: اعلم أن للحفظ ساعات ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها، فأجود الأوقات الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار^(١).

قال أحمد بن الفرات: لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمعوا أنه ليس شيء أبلغ فيه إلا كثرة النظر. وحفظ الليل غالب على حفظ النهار. قال: وسمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: إذا هممت أن تحفظ شيئاً فتم، وقم عند السحر، فأسرج وانظر فيه، فإنك لا تنساه بعد إن شاء الله^(٢).

قال الخطيب البغدادي: إنما اختاروا المطالعة بالليل لخلو القلب، فإن خلوه يسرع إليه الحفظ. ولهذا قال حماد بن زيد - لما قيل له - : ما أعون الأشياء على الحفظ؟ قال: قلة الغم. وليس يكون قلة الغم إلا مع خلو السر وفراغ القلب، والليل أقرب الأوقات من ذلك.

السابع: الحفظ في الصغر:

إن من أسباب ثبات المحفوظ، أن يكون الحفظ في أيام الصغر، وقد أشار أهل العلم إلى ذلك، فمن كلامهم عنه:

(١) الفقيه والمتفقه (١٠٣/٢).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢٦٥/٢).

- ١- قال قتادة: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر^(١).
 - ٢- قال معمر: سمعت من قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري^(٢).
 - ٣- قال علقمة بن قيس: ما حفظت وأنا شاب فكأنني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة^(٣).
 - ٤- قال الحسن: طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر^(٤).
- فهذه الأقوال فيها تنبيه للآباء والأولياء والمربين أن يعتنوا بأبنائهم ومن تحت ولايتهم ومن يقومون بتربيتهم عناية خاصة في وقت الصغر، ويجتهدوا في تحفيظهم ما ينفعهم، لأن الحفظ في هذا أثبت، وهذه ساعة متى فرط فيها لا يمكن استدراكها.
- الثامن: المراجعة.
- من أسباب ثبات المحفوظ ودوامه بعد حفظه، مراجعته مرة بعد أخرى، ولأهمية هذا الأمر فقد أوصى به السلف عليهم السلام وحثوا عليها، فمن أقوالهم:
- قال علي بن أبي طالب: تذكروا هذا الحديث، فإن لا تفعلوا يدرس^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٧٥/٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/٧).

(٣) جامع بيان العلم ص ١٣٦، حلية الأولياء (١٠١/٢)، السير (٥٥/٤).

(٤) جامع بيان العلم ص ١٣٥.

(٥) تدريب الراوي ٥٩٧/٢.

- قال ابن مسعود: تذاكروا الحديث، فإن حياته مذاكرته ^(١).
- قال الزهري: إنما يذهب العلم النسيان، وترك المذاكرة ^(٢).
وعمن الحسن نحوه ^(٣).
- قال علقمة: أطيلوا ذكر الحديث لا يدرس ^(٤).
- قال إبراهيم الأصبهاني: كل من حفظ حديثاً فلم يذاكر به،
تفلت منه ^(٥).
- قال الخليل بن أحمد: ذاكر بعلمك تذكر ما عندك، وتستفد ما
ليس عندك ^(٦).
- قال عبد الله بن المعتز: من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما
علم، واستفاد ما لم يعلم ^(٧).
- أيها الموفق: إذا لم يجد الطالب من يذاكره العلم، فينبغي له أن
يحدث به من عنده ولو لم يكن أهلاً لذلك.
- قال إبراهيم النخعي: من سره أن يحفظ الحديث فليحدث به،
ولو أن يحدث به من لا يشتهي، فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتاب

(١) تدريب الراوي ٥٩٧/٢.

(٢) حلية الأولياء (٣/٣٦٤).

(٣) جامع بيان العلم ص ١٧٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/٢٣٨ و ٢/٢٦٦)، والآداب الشرعية

(٢/١١٩).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي (١/٢٣٨).

(٦) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٧٤).

(٧) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٧٦).

في صدره ^(١).

وكان الزهري يرجع إلى منزله وقد سمع حديثاً كثيراً فيعيده على جارية له من أوله إلى آخره كما سمعه ويقول لها: إنما أردت أن أحفظه ^(٢).

قال زياد بن سعد: ذهبنا مع الزهري إلى أرضه بالشغب، فكان يجمع الأعراب فيحدثهم يريد الحفظ ^(٣).

كان عطاء الخرساني إذا لم يجد أحداً يحدثه أتى المساكين فحدثهم، يريد بذلك الحفظ ^(٤).

وكان خالد بن يزيد إذا لم يجد أحداً يحدثه يحدث جواريه، ثم يقول: إني لأعلم أنكن لستن بأهل. يريد بذلك الحفظ ^(٥).

وإسماعيل بن رجاء كان يجمع صبيان الكتاب يحدثهم لئلا ينسى حديثه ^(٦).

قال الخطيب: وإذا لم يجد الطالب من يذاكره، أدام ذكر الحديث مع نفسه، وكرره على قلبه، ثم ذكر بإسناده إلى معاذ بن معاذ أنه قال: كنا بباب ابن عون، فخرج علينا شعبة - وقد عقد

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٧٨).

(٢) الآداب الشرعية (٢/١١٩).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٦٨-٢٦٩).

(٤) جامع بيان العلم ص ١٧٩.

(٥) جامع بيان العلم ص ١٧٩.

(٦) جامع بيان العلم ص ١٧٩.

بيديه جميعاً - فكلّمه بعضنا فقال: لا تكلمني فإنّي قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث، أخاف أن أنساها^(١).

قال جعفر المراغي: دخلت مقبرة بتستر فسمعت صائحاً يصيح:

والأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، والأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ساعة طويلة، فكنت أطلب الصوت، إلى أن رأيت ابن زهير وهو يدرس مع نفسه من حفظه حديث الأعمش^(٢).

هذا ما يسر الله تعالى جمعه، بفضلته ومنه، فله الحمد كله، أولاً وأخراً، ظاهراً وباطناً.

تم الفراغ منه صباح الاثنين الثامن من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٢٢هـ. بالمدينة النبوية.

وكتب

عبد القيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

(١) الجامع (٢٣٨/١-٢٣٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢٦٧/٢).

الفهرس

المقدمة.....	٥
الفصل الأول: أهمية الحفظ	٧
الفصل الثاني: عجائب الحفظ.....	١١
١- عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٤):	١٢
٢- قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨):	١٣
٣- محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٥):	١٣
٤- سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١):	١٣
٥- يزيد بن هارون (ت: ٢٠٦):	١٤
٦- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦):	١٤
٧- عبد الله بن هارون المأمون (ت ٢١٨):	١٦
٨- محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦):	١٦
٩- أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤):	١٦
١٠- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩):	١٧
١١- أبو الطيب المتني (ت ٣٥٤):	١٧
١٢- علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥):	١٨

- ١٣- أبو العباس ابن تيمية (ت٧٢٨): ١٨
- ١٤- أبو المعالي محمد بن علي بن أبي العشائر الحلبي
(ت٧٨٩): ١٩
- المبحث الثاني: عجائب في قوة الحفظ: ٢٢
- ١- قتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨): ٢٢
- ٢- أبو نعيم الفضل بن دكين (ت١١٨): ٢٢
- ٣- عاصم بن أبي النجود (ت١٢٨): ٢٣
- ٤- طلحة بن عمرو (ت١٢٥٢): ٢٤
- ٥- وكيع بن الجراح (ت١٩٦): ٢٤
- ٦- علي بن المديني (ت٢٣٤): ٢٤
- ٧- إسحاق بن راهويه (ت٢٣٨): ٢٥
- ٨- أحمد بن حنبل (ت٢٤١): ٢٦
- ٩- أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤): ٢٧
- ١٠- ابن أبي داود (ت٣١٦): ٢٧
- ١١- أبو عمرو الزاهد المعروف بـ: غلام ثعلب (ت٣٤٥):
..... ٢٧
- ١٢- أبو أحمد العسال (ت٣٤٩): ٢٨
- ١٣- ابن العميد محمد بن الحسين (ت٣٦٠): ٢٩
- ١٤- الحسين بن أحمد بن بكير (ت٣٨٨): ٢٩
- ١٥- أبو إسماعيل الهروي (ت٤٨١): ٣٠

٣١	المبحث الثالث: عجائب في كثرة الحفوظ:
٣٩	الفصل الثالث: طريقة الحفظ
٥٠	تنبيهات:
٥١	الفصل الرابع: أسباب الحفظ
٦٤	الفهرس

* * *